الشرس والواثق بنفسه، ينبغي أن يرافق العمل السياسي نشاط عسكري أو شبه عسكري، مستمر وفعال ومتشعب، يصلح لـ«اقناع» الصهيونيين بالعودة الى أرض الواقع. وبدون عامل القوة هذا سيستمر اللف والدوران السياسيان المرافقان للعمل العربي، منذ فترة غير وجيزة، على حالهما، ولن يتحقق أي انجاز يذكر. ولعل بلورة أساليب هذا النشاط العسكري وتوسيع نطاقه وزيادة فعاليته، هي أكبر تحديات المرحلة المقبلة.

والى المجالين المذكورين، الفلسطيني والاسرائيلي، ينبغي أيضاً اضافة الثالث، العربي والدولي، والذي لا يقل أهمية عنهما، واعادة النظر بشأنه أيضاً، في ضوء وقائع الحرب:

لقد خاض الفلسطينيون الحرب الأخيرة وحدهم تقريباً، ووقف معظم العرب جانباً، بين متفرج وشامت ومتآمر. أما من كان يحلو للبعض، وبين هذا البعض قادة فلسطينيون كبار، تسميتهم «حلفاء استراتيجيين»، من دول عربية أو أجنبية، فقد ظهر أنهم ليسوا «حلفاء» ولا «استراتيجيين»، ولا علاقة لهم بالاستراتيجية التي ترسم للمنطقة، حتى ولو كانوا من بين دولها! ولابد من القول، في هذا الصدد، أننا أطعمنا أو أطعمنا أنفسنا جوزاً فارغاً خلال فترة طويلة، كاد عند ساعة الحشر يقضي علينا، وذلك بإيهام بعضنا البعض أن هنالك من يمكن الاعتماد عليه عند الضرورة، في حين أظهرت التجربة عكس ذلك. وهذا الوضع يقتضي، بالطبع، اعادة تنظيم التحالفات الفلسطينية، عربية كانت أم دولية، واقامتها على أسس المصالح الحقيقية المتبادلة، دون مواقف مسبقة أو منطلقات واهية. وبدون ذلك سنجد أنفسنا دون حلفاء حقيقيين، يمكن الاعتماد عليهم في الأزمات، التي ستكون، كما يبدو، عديدة ومتواصلة.

ولو شئنا التلخيص لأمكن القول، باختصار، أن هنالك ضرورة لثورة فلسطينية من نوع جديد؛ ثورة حقيقية، ديناميكية، عصرية، فعالة، ناجعة ونظيفة. وبعكس ذلك، قد لا يمر وقت طويل حتى تتحول منظمة التحرير الفلسطينية الى كيان لا روح فيه، شبيه بحكومة عموم فلسطين، ولن يمر وقت طويل حتى تنظم مستندات دفنها أو، على الأقل، تحنيطها؛ كمقدمة لترتيب أوضاع المنطقة وفق مخططات الأعداء والخصوم.

والواجب، والضرورة، يقضيان بالتصدي لذلك.